الحكاية المثلية في كتاب كليلة ودمنة

المقدمة:

التمهيد:

تشكل الحكاية المثلية في كتاب كليلة ودمنة لعبد الله بن المقفع ظاهرة إبداعية في النثر العربي القديم خلال القرن الثاني للهجرة وهي ذات أصول سردية موصولة بالخرافة والأسطورة والحكاية العجيبة،

تنزيل الموضوع:

ويرى بعضهم أن قيمة هذا الإبداع لا تكمن "في طرافة الفن القصصي فحسب وإنما في تنوع وظائف الحكاية أيضا "

طرح الإشكالية:

فما أوجه طرافة القص في كليلة ودمنة؟

وما مظاهر تنوع وظائف الحكاية فيها؟

الجوهر:

مقدمةالجوهر:

يستدعي هذا الموضوع من خلال صياغته القائمة على ثنائية النفي والإثبات علاقة التكامل بين الشكل الفني الطريف والمضمون الدلالي المتنوع، ولو شرعنا في استخلاص مظاهر طرافة الفن القصصي فإننا نستقصي مظاهر منه متعددة.

جوهر الجوهر:

إن القص لا يستقيم كما هو معلوم بداهة إلا بأساليب وأركان هي مقومات أساسية تقوم عليها كل حكاية، ومتى ولجنا عالم كليلة ودمنة ألفيناه يفتتح بعبارة سردية ذات مخمول حكائي بها ينفتح القص وهي "زعموا أن ..." فهي سنة سردية راسخة تحقق وظيفة تواصلية تفتح الخطاب على جو عجائبي غرائبي هو من جنس الخرافة التي لا يعرف لها قائل و لا يتحمل تبعاتها سارد، وهي قاعدة كلامية تبرر الوهم ومخالفة الحقيقة.

كما يستند القص إلى أسلوب الحوار الذي يمسرح الأحداث في ساحة الخيال العجيب بين كائنات حيوانية ، والحوار في أغلبه ثنائي بين الملك والفيلسوف حينا والأسد والحيوان حينا آخر ، يقول الفيلسوف دبشليم "اضرب لي مثل .." فيجيب الفيلسوف بيدبا "زعموا أن .."وبدلك تتولد الأحداث ويتطور الحديث .

أماالسرد فهو خطي تتابعي عادة يتدرج وفق برنامج اتصالي أو انفصالي من بداية معلومة يقترحها الملك إلى نهاية مرسومة من إنتاج الفيلسوف "إنما ضربت لكهذا المثل لتعلم"،والقصص ههنا مستقلة الأبواب يحكمها مبدأ التناظر حينا (باب الأسد والثور - الحمامة المطوقة) أو مبدأ التقابل أحيانا (بابالأسد والثور - الأسد وابن آوى الناسك)

أما الوصف فقد استبطن مشاعر الشخصيات وكينونتها المتقلبة "فدخل على شتربة كالكئيب الحزين" فهو تأطير للأحداث ولفضاء القص زمانا ومكانا وللشخصيات "صورة الصياد في باب الحمامةالمطوقة ."

ولو نظرنا في أركان القص فإنها تدور على فضاء موهوم زمانا ومكانا فالمكان مطلق والزمان كذلك، وفي ذلك تجريد للحكاية وحماية لها من أعدائها، أما الشخصيات فهي من عالم الحيوان (الأسد- ابن آوى -كليلة -دمنة- الحمامة- الغراب..) أو عالم الإنسان (الملك -الفيلسوف - الصياد..) وبين هؤلاء وأولئك علاقة الرمز بمرموزه، فكل حيوان له ما يطبقه في عالم الإنسان.

وأما الأحداث فهي ذات بنية تقوم على التضمين تدرجا من القصة الأصلية إلى القصة الفرعية ،وعلى التتابع ربطا بين قصص لا يربطها ببعضها منطق غير اشتراكها في أبواب الكتاب.وعلى التداول مراوحة بين قصتين في وقت واحد .

إن هذه الخصائص الفنية تجعل من الحكاية المثلية أثرا فنيا طريفا في الأدب العربي إذ أسس لعالم عجيب بقدر ما فيه من الهزل والإمتاع فإنه لا يخلو من الفائدة.

التخلص:فما هي وظائف الحكاية المثلية المتنوعة؟

لما كان المثل حجة يستدل بها المتكلم على حكمة ويخلص بها إلى عبرة فقد نهض بعديد الوظائف التزاما برسالة الأدب بما هو عطف للقلوب على قيم أصيلة في مواجهة واقع مترد على مختلف المستويات .

ولعل الوظيفة الأولى التي تتصدر مقاصد التأليف هي الوظيفة التعليمية، إذ ليست الأمثال سوى عبر وحكم يستفيد منها الناس جميعا قيما تربوية وفوائد سياسية واجتماعية ، فقد جعل الفيلسوف من التعليم مقصدا أصيلا لحكايته إذ يختمها

www.mektabeti.com

بقوله مثلا "وإنماضربت لك هذا المثل لتعلم أن صاحب الشر لايسلم من شره أحد". فالمثل يعلم الأخلاق والأدب وأصول التعامل الاجتماعي بين مختلف الأجناس والفئات.
أما الوظيفة الثانية فهي نقدية بالأساس ، نقد لمظاهر انحراف الواقع السياسيوالقضائي والاجتماعي بغاية التوجيه والإصلاح : فسياسيا استحال الحكم استبداديا تتقاطع فيه السلطات الثلاث دون استقلالية حقيقية وهيمنت الحاشية الفاسدة التي تؤثر مصلحتها على حساب الجماعة شأن دمنة في باب الأسد والثور, فنقد ابن المقفع القيم المذمومة كالحسد والنميمة والدسيسة والكذب والخداع وفساد القضاء كما دعا في المقابل إلى الصدق والصداقة والتعاون والاتحاد كما في باب الحمامة المطوقة.
يضاف إلى ذلك الوظيفة الأدبية تحقيقا للجمالية والإبداع من خلال أسلوب المجاز والإيجاز وحسن البلاغة, وهي الوظيفة الأولى التي يستقيم بها الأدب إمتاعا وإبداعا.
كما أن الوظيفةالعقلية تبدو بارزة من خلال الدعوة إلى استعمال العقل في الخير لا في الشر بديلا عن الغريزة التي يتأتى منها الهلاك.
إن العقل في الحكاية المثلية عقل عملي لا عقل علمي إ ذ يراد العلم للعمل به لا لمجرد المعرفة "إن العاقل لا يعدل عن الإخوان شيئا ", ومن تجليات النزعة العقلية في الحكاية المثلية ما ينص عليه ابن المقفع من ضرورة التخلي عن مقتضيات الغضب والاندفاع أو الاحتكام إلى ضرورات الغريزة كما وقع للحمامة المطوقة حين وقعت في الشرك نتيجة اندفاعها نحو الحبّ أو شان الأسد والثور إذ انقاد كلاهما إلى غريزة الخوف والنفس الغضبية دون النفس العاقلة .
إن تنوع هذه الوظائف إذن سبيل لإثراء كتاب كليلة ودمنة تحقيقا لرسالة أدبية هادفة فالأدب ليس ترفا فكريا إنما هو علم وعمل ومتعة وإفادة في وقت واحد.
الخاتمة:
خلاصة الأفكار:
إن كتاب كليلة ودمنة أدب حكائي عجيب يقوم على ظاهر فني قصصي ممتع وبديع وباطن نقدي جاد ومتنوع الوظائف، ما به استقام الكتاب إبداعا وإبلاغا وإقناعا فهو فن وفكر وأدب وعقل معا.
التقويم:
غير أن الكتاب يستمد مرجعيته من سياق هندي تحول إلى فضاء فارسي ومنه حوله ابن المقفع إلى اللغة العربية مستخدما لغة الرموز دون مواجهة مباشرة للواقع.
فتح الآفاق: فإلى أي مدى تدخل الكاتب في الترجمة زيادة وحذفا أم كان ناقلا أمينا للتراث الأجنبي؟
الحكاية المثلية، هي قصة على لسان الحيوان أريد بها معالجة واقع الإنسان، يقول الأستاذ توفيق بكار "هي قصة استعارية دالها الحيوان ومدلولها الإنسان جعل فيها الحيوان دليلا على الإنسان وبديلا عنه" والمثل هو القول الدي يضرب للعبرة وتلخيص موقف، وهو في كليلة ودمنة حجة اتخذتها الشخصيات للبرهنة على مواقف مختلفة. تدور الحكاية المثلية في فضاء عجائبي غرائبي ينطق فيه الحيوان، وابرز الشخصيات الحيوانية :الأسد-الثور-كليلة-دمنة-ابن آوى-الحمامة المطوقة-----
نقد الواقع السياسي وإصلاحه: -ظلم الحكام وتفردهم بالسلطة - تآمر الحاشية الفاسدة من اجل تحقيق مكاسب داتية - تصوير نظام الحكم النموذج :السلطة التي يتفلسف ملوكها ويحكم فلاسفتها -الدعوة إلى العدل والمشورة والمساواة - اهمية الحاشية الناصحة والحكيمة
نقد الواقع الاجتماعي وإصلاحه: تصوير مظاهر الانانية والمكر والخديعة -نقد هيمنة الاثرة والجشع والكذب - كشف مظاهر الصراع الشعوبي والعنصرية بين الأجناس - الدعوة إلى التعاون والإيثار - الاشادة بالصداقة والزعامة الحكيمة للمجتمع - الحرص على الصدق والصداقة
وظيفة تعليمية: نشر المعرفة العقلية والقيم الإنسانية المثالية وظيفة اتقائية: حماية الحكمة من اعدائها وضمان رواجها وانتشارها
بنية الحكاية المثلية
-التضمين: حكاية أصلية-حكاية فرعية مضمنة - التتابع:حكايات مستقلة بداتها لاتربطها صلات في الاحداث أو الشخصيات - التداول:المرواحة بين قصتين بالتداول
الحجاج: هو جملة التقنيات التي يستعملها المتكلم في خطابه من أجل حمل المتقبل على الاذعان إلى الاطروحة المقترحة أو التعديل من وجهة نظره أو حمله على الاقتناع بها والميل إليها يقوم الخطاب الحجاجي على بنية يستعمل فيها المثل حجة وفق سيرورة حجاج تسبقها اطروحة مدعومة وتليها اطروحة مدحوضة

www.mektabeti.com